

## التراكيب النحوية من الوجهة التداولية\*

عبد الحميد السيد

قسم اللغة العربية، كلية العلوم والآداب، الجامعة الهاشمية، الأردن

### ملخص

يعالج هذا البحث التراكيب النحوية في العربية من وجهة نظر تداولية؛ بغية الوصول إلى دراسة نحوية تعي بالتركيب والتحليل، ودلالات الجمل من خلال مقاماتها. وقد استكّنت البحث أنظار النحاة، وتوقف عند أعمال البلاغيين، وانتفع بقدر، بالأنظار اللسانية الحديثة، وبخاصة الاتجاه الوظيفي ونظريته التداولية إلى اللغة؛ فانتهى إلى أن مباحث النحو يتحقق بها فهم البنية التركيبية ودلالاتها، ومباحث البلاغة يتحدد بها أهداف التعبير والتواصل، وبهما يُوقف على دلالة التراكيب وأسرارها.

### Abstract

This study discusses the syntax structures in Arabic according to the pragmatic view to achieve the objective of a study concerns with structures, analysis and the sentence semantic according to their context of situation. The study studied the grammarians points of view and rhetorician works, utilized from the modern linguistics specially the Functional Grammar and its Pragmatic View.

The study reached the conclusion that the syntax lead to understand the structures and its semantic, the rhetoric subjects define the objects of expressions and communication, and both of them express the semantic of structures and its secrets.

\* \* أفدت من ملاحظات للأخ الأستاذ الدكتور نهاد الموسى، فله مني خالص الشكر.

## مقدمة

يسعى هذا البحث إلى دراسة التراكيب النحوية في العربية من وجهة نظر تداولية؛ وذلك للوصول إلى دراسة نحوية تُعنى بالتركيب والتحليل وتحفل بدلالات الجمل، كما تختص ببيان المقاصد والغايات التي تصاحب الأداء انطلاقاً من أنماط المقامات التي تنجز فيها.

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية، فقد حددت ثلاثة مصادر أصدر عنها في المعالجة :

أولها - يستكثه أنظار النحاة في الوظائف النحوية وأبعادها الدلالية والتداولية، وما قدموه من تحليلات للتراكيب النحوية المنجزة في سياقات مقامية مختلفة.

وثانيها - يتوقف عند أعمال البلاغيين، وبخاصة علماء المعاني، وأعمال المفسرين المرتبطة بالتراكيب النحوية فهماً وتحليلاً.

وثالثها - ينتفع، بقدر، بالأنظار اللسانية الحديثة، وبخاصة الاتجاه الوظيفي ونظريته التداولية (Pragmatics) إلى اللغة.

وينتظم هذه المصادر، على تباين منطلقاتها، أنها تقدم وسائل تهدف إلى جعل النحو وظيفياً مرتبطاً بسياقه الداخلي والخارجي.

## التداولية لغةً واصطلاحاً

"التداول"، لغة، مصدر تداول، يقال : دال يدؤل دولاً : انتقل من حال إلى حال، وأدال الشيء : جعله متداولاً، وتداولت الأيدي الشيء : أخذته هذه مرةً وتلك مرةً (١).

والتداولية اصطلاحاً " Pragmatics " اتجاه في الدراسات اللسانية، يُعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ، وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق (٢). وتشمل هذه المعطيات :

- معتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشارك في الحدث اللغوي.

- الوقائع الخارجية، ومن بينها الظروف المكانية والزمانية، والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة.

- المعرفة المشتركة بين المتخاطبين وأثر النص الكلامي فيهما (٣).

وقد استعمل بعض المحدثين مصطلح " البراغماتية " هنا، وآخرون مصطلح " الذرائعية " لكن الذي يعيب هذا الأخير هو أنه وُضِعَ مقابل كلمة "Pragmatique" اليونانية التي تعني الاستعمال حسب، ولا تعني التفاعل التخاطبي الذي تدل عليه كلمة " تداول "، كما أنه اتخذ بُعْداً تجردياً بعيداً عن اللغة والدرس اللغوي.

والمقصود بالتراكيب - هنا - الأنماط اللغوية التي عدل فيها عن الأصل، وتمثل خيارات متعددة للمتكلم، كما سنبينه.

### الوظائف النحوية وأبعادها المعنوية

وأول ما نستحضره في أعمال النحاة أن منهجهم في وصف التراكيب في العربية قام من خلال أفراد باب لكل وظيفة، فصلوا فيه: قيودها الصرفية، والنحوية، وأبعادها المعنوية التي تتفاوت فيها هذه الوظائف: فمنها ما يبرز فيها الجانب الوظيفي أو التركيبي، وأخرى يبرز فيها الجانب الدلالي، وثالثة يبرز فيها البعد التداولي، كما نجد وظائف تجمع بين بعدين، ووظائف لها أغراض دلالية مختلفة، وهاك تصنيفاً لها وفق أبعادها الثلاثة، معتمدين في ذلك على ما وضع النحاة من حدود تكاد تلتقي عليها مصنفاتهم: وظائف تركيبية:

المبتدأ ( يبنى عليه الكلام ) (٤). الخبر هو ( المبنى على المبتدأ ) (٥) الفاعل ( يبنى عليه الفعل المقدم عليه ) (٦)، ويشاركه نائب الفاعل ( جزء أساسي بعد حذف الفاعل ). المفعول به ( يحتاج إليه إذا كان الفعل متعدياً ).

### وظائف دلالية :

الخبر ( يصير به المبتدأ كلاماً ). الفاعل ( من قام بالفعل ). المفعول به ( يقع عليه فعل الفاعل ). المفعول المطلق ( يؤكد الفعل أو يبين نوعه أو عدده ). المفعول لأجله ( علة الفعل )، المفعول فيه ( زميل أو مكان الفعل ). المفعول معه ( بعد واو للتنصيص على المعية ).

الحال ( يبين هيئة صاحبه ). التمييز ( رفع الإبهام في جملة أو مفرد ) (٧). المستثنى (إخراج بعض مسن كل ). المضاف إليه ( ما نسب إليه شيء بوساطة حرف الجر ) (٨). النعت ( يكمل متبوعه بدلالته على معنى فيه أو فيما يتعلق به ) (٩). التوكيد ( المعنوي يكرر أمر المتبوع من حيث العموم والشمول، اللفظي: يكرر المتبوع بنصه أو بلفظ آخر ). عطف النسق ( يكون بتوسط حرف بينه وبين المتبوع، وتختلف هذه الحروف في دلالتها المعنوية ... ). عطف البيان ( يوضح متبوعه إن كان معرفة بلفظ يدل على ذات متبوعه). البدل ( مقصود بالحكم ).

### وظائف تداولية :

المبتدأ ( معرفة المخاطب ) (١٠). الخبر ( محط فائدة السامع ). التمييز ( تنبيه المخاطب على المراد بالنص على أحد محتملاته ) (١١). المنادى ( طلب إقبال المخاطب بحرف ناب مناب الفعل ). التوكيد ( تمكين المعنى في نفس المخاطب وإزالة الاحتمال في التأويل ) (١٢).

## التراكيب العُدُولِيَّة

تقوم بنية الجملة، في النحو العربي، على أركان ثلاثة : المسند إليه، والمسند، والفضلة، وتتبع الجملة الاسمية في العربية نظام :

م ( المسند إليه ) + م ( المسند ) + ف ( فضلة )

وأما الجملة الفعلية فتتبع نظام :

م + م + ف

والأركان تمثلها وظائف ضبطها النحاة، كما سبق، بقيود هي أصل الوظيفة، والجملة بهذه القيود وفي إطار النظام السابق - جملة عادية مألوفة، يراد بها الإخبار أو الإسناد، وذلك نحو قولك :

جاء زيد ضاحكاً

فهذه الجملة تفيد الإخبار بمجيء زيد ضاحكاً، وهي جملة حال، والحال في حدودهم :فضلة منتصب يبين هيئة ما قبله، من : فاعل أو مفعول به أو منهما معاً أو من غيرهما، وقت وقوع الفعل. وهذا الحد يشتمل على عدد من القيود في جملة الحال، هكذا :

العامل	صاحب الحال	الحال
-فعل ( أو ما في تأويله )	-معرفة	- وصف (مشتق)
	-فاعل أو مفعول	- نكرة
	أو هما أو غيرهما	- يبين هيئة صاحبه وقت وقوع الفعل

وكل قيد أصل (١٣)، وهو صالح عند أمن اللبس لأن (يعدل) التركيب عنه إلى أنماط فرعية؛ فالجملة لا تبدو دائماً على نمط تركيبي واحد.

ومظاهر (العدول) عن الأصل تعدد وتنوع، فقد يكون العدول :

في البنية الصرفية : بما يطرأ عليها من تعريف أو تنكير أو نقل بنيابة أو تضمين.

أو في الرتبة ( غير المحفوظة ) : بما يحدث من تقدم وتأخير.

أو في النظم : من حذف أو زيادة أو اعتراض أو فصل بين أجزائه... (١٤).

وبتطبيق ذلك على (حد الحال) السابق، مثلاً، يمكن أن تولد الحالات التالية :

العامل	صاحب الحال	الحال
- يتأخر عن الصاحب	- يتأخر عن الحال	- يتقدم على العامل
- يتأخر عن الحال	- يُحذف جوازاً	- يتقدم على الصاحب

- يتوسط بين الصاحب والحال - يكون اسماً نكرة - جواز حذفه  
- يحذف جوازاً - يتعدد - يقع مصدرأ  
- يتعدد

ففي نحو قولنا السابق: جاء زيد ضاحكاً، يمكن أن تتولد أنماط كثيرة منها :

-جاء ضاحكاً زيد

-ضاحكاً جاء زيد

-جاء زيد ضاحكاً باسمأ ...

وكل نمط من هذه الأنماط يختلف عن غيره بنيةً ودلالةً، وهذا أمر يكسب اللغة مرونةً واسعة، ويكفل لها خيارات كثيرة.

وقد عالج النحاة والبلاغيون الأنماط السابقة، وغيرها من الأنماط التي عدل فيها عن الأصل، وفق أساليب توافق منطلقات كل فريق؛ فالنحوي غالباً قد يشرح تركيباً من نحو :

-ضاحكاً جاء زيد

فيقول : قدم الحال (ضاحكاً) على الفعل وصاحب الحال جوازاً. ومثل هذا يقوله في نحو :

-جاء ضاحكاً زيد

مع أن التركيبين يختلفان بنية ودلالة كما نبين ذلك تالياً.

ويقول في قوله تعالى:

- (سورة أنزلناها وفرضناها..) النور: ١

رُفعت (سورة) على إضمار مبتدأ محذوف تقديره : هذه سورة، و ( أنزلناها ) صفة ...

ونتبين من هذا أن النحاة ينطلقون من النظر إلى التراكيب أولاً على أساس أن لها أصولاً تركيبية تتوافق مع القواعد التي يضعونها، فإذا لم يتوافق التركيب الظاهر مع هذه الأصول، بسبب تقدم أو تأخير أو حذف، أو نحو ذلك من مظاهر العدول؛ صرفوا النظر عنه إلى باطن منضبط بما وضعوا من قواعد، أي ردوا البنية السطحية إلى العميقة بلغة التحويليين، وهم إنما يفعلون ذلك إما طلباً للاطراد المحكم في القاعدة، وإما حرصاً على اللغة في مستواها " المثالي العادي المؤلف " الموصل إلى فهمها وتعلمها، وهو المستوى الذي هو موضع عنايتهم " (١٥).

ونجد هذا واضحاً في كلام الزمخشري، مثلاً، في تفسير قوله تعالى : ( قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنم خشية الإنفاق ) الإسراء: ١٠٠، قال (١٦) : " (لو) حقها أن تدخل على الأفعال دون

الأسماء؛ فلا بد من فعل بعدها في ( لو أنتم تملكون ) وتقديره : تملكون تملكون ... فأما ما يقتضيه علم البيان فهو أن ( أنتم تملكون ) فيه دلالة على الاختصاص، وأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ... وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر .

وظاهر من النص السابق أن النحوي معني بالتركيب أولاً، وأن البلاغي معني بالدلالة، ولذا يعد ابن هشام الأنصاري الخروج عن هذا المنحى تطفلاً، قال (١٧) : " الحذف الذي يلزم النحوي النظر فيه هو ما اقتضته الصناعة؛ وذلك بأن يجد خبراً بدون مبتدأ أو بالعكس أو شرطاً بدون جزاء أو بالعكس ... وأما قولهم ( أي النحاة ) : يحذف الفاعل لعظمته وحقارة المفعول أو بالعكس أو للجهل به، أو للخوف عليه أو منه، ونحو ذلك، فإن تطفلاً على صناعة البيان ."

### النحاة والمقام الخارجي

وعلى الرغم من أن النحاة شغلوا بالمقال وأصوله التركيبية فإنهم عنوا بالمقام الخارجي وما يحيط بالظاهرة اللغوية من ملابسات تكتنفها تتصل بالمتكلم أو المخاطب أو ظروف الكلام؛ إلا أن هذه العناية جاءت بقدر، وذلك في " معرض الكلام عن الفهم والإفهام " (١٨) أو لرد " ما يعرض في بناء المادة اللغوية من ظواهر مخالفة إلى أصول النظام النحوي طلباً للاطراد المحكم " (١٩) أو في الحكم على ما يجوز وما لا يجوز من التراكيب ... أو غير ذلك مما يكون في إطار الحرص على اللغة في مستواها العادي المؤلف الموصول إلى فهمها وتعلمها كما ذكرنا. وأمثلة ذلك كثيرة في " الكتاب " (٢٠)، منها أن سيبويه لا يستقيم عنده أن تقول : " هذا أنت " ويجيز " هذا هو " معتمداً على بعد خارجي محض؛ إذ يقول (٢١) : " لأنك لا تشير إلى المخاطب إلى نفسه ولا تحتاج إلى ذلك، وإنما تشير له إلى غيره ."

ويفسر الحذف في قولهم : " أتميمًا مرة وقيسيًا أخرى " بتقدير : أتحوّل تميميًا مرة وقيسيًا أخرى. ثم يبين مقاصد هذا الحذف في ضوء معطيات المقام فيقول (٢٢) : " ... فأنت في هذه الحال تعمل في تثبيت هذا له، وهو عندك في تلك الحال في تلون وتنقل، وليس يسأله مسترشداً عن أمر هو جاهل به ليفهمه إيله ويخبره عنه، ولكنه وبخه بذلك "

ومثل ذلك ما عرض له ابن هشام الأنصاري في " باب المنصوبات المتشابهة " : " ما يحتمل الحالية والتمييز : من ذلك " كرمٌ زيد ضيفاً " إن قدرت أن الضيف غير زيد فهو تمييز محول من الفاعل، يمتنع أن تدخل عليه ( من )، وإن قدر نفسه احتمال الحال والتمييز " (٢٣).

فابن هشام يوجه المنصوب إلى كونه تمييزاً في ضوء حد التمييز الذي وضعه النحاة، واحتماله أن يكون حالاً وتمييزاً بدلاليتين : إن كنت تعني أن زيداً هو الذي كرم، كان (ضيفاً) تمييزاً، وإن كنت تعني أن زيداً كرم عندما صار ضيفاً، كان (ضيفاً) حالاً.

وتبقى هذه العناية بالمقام على مستوى معين، في إطار ما ذكرنا، فلم يكن مبدأ أساسياً في عملهم وهو أمر لا يعيب النحاة؛ فقد التزموا بغاية، أقاموا عليها منهجهم في وصف الظاهرة النحوية وتقييد قواعدها وما يجب أن تكون عليه.

ولعل ما يؤيد ذلك ما جاء في كثير من مسائل الخلاف بين النحاة، والتجويزات الإعرابية فلم يظهر في كثير منها احتفاء بالمقام على نحو يدل على أنه أصل يحتكم إليه في التحليل، من ذلك، مثلاً، ما جاء في باب إلغاء الأفعال القلبية من أنه يجوز إلغاؤها إذا وقعت وسطاً؛ نحو: "زيدٌ ظننتُ قائمٌ" أو آخراً، نحو: زيد قائم ظننت، وإذا توسطت فحوزوا الإلغاء والإعمال. وقال سيويه (٢٤) : " فإن ألغيت قلت : عبد الله أظن ذاهبٌ ... وكلما أردت الإلغاء فالتأخير أقوى " أي أن الإلغاء مع تأخير هذه الأفعال أقوى منه حين تتوسط، وعلل ذلك بقوله (٢٥) : " وكلما طال الكلام ضعف التأخير إذا أعملت، وذلك قولك: زيداً أحاك أظن؛ فهذا ضعيف كما يضعف : زيداً قائماً ضربتُ" وفي أمثلة هذه الظاهرة وخلاف النحاة فيها وما علل به سيويه من أنه كلما طال الكلام ضعف التأخير إذا أعملت؛ آيات بينات على أن المقام كان غائباً في توجيه الظاهرة وتحليلها، فالإعمال والإلغاء محكومان بالمقام ومقاصد المتكلم واحتياجات المخاطب الدلالية، وبيان ذلك أنك تقول (٢٦) :

- ظننتُ محمداً قائماً إذا كان المخاطب خالي الذهن من

الخبر، فأخبرته بما في ذهنك.

- محمداً، ظننتُ، قائماً إذا كان المخاطب يعتقد أنك تظن خالداً قائماً لا محمداً، فقدمت له

محمداً لإزالة الوهم من ذهنه.

- محمداً، قائماً، ظننتُ إذا كان المخاطب يظن خالداً قائماً

فقدمت محمداً قائماً لإزالة ظن في الشخص وما وصف به، فقدمت الشخص ووصفه لإفادة الحصر والاهتمام.

- محمداً، ظننتُ، قائماً تقول هذه الجملة إذا بنيت كلامك

على اليقين. ثم اعترضك الظن وأنت  
تتكلم، فقلت ما قلت، كما تقول:"  
زيد، غفر الله له، مُسيءٌ" فجملة  
(ظننت) اعتراضيه مثل جملة ( غفر الله  
له ) والكلام معقود على : محمد قلتم،  
وزيد كريم.

ومن ذلك ما قيل في توجيه المنصوب من نحو " لله دره فارساً " و " كفى زيداً شجاعاً " من أنه عند  
الأكثرين : تمييز. وقال بعضهم : حال. وجاء في شرح الرضي على الكافية (٢٧) : " ورجح المصنف  
الأول ( أي تمييز ) قال : لأن المعنى مدحه مطلقاً بالفروسية، فإذا جعل حالاً اختص المدح وتقييد بحال  
فروسيته، وأنا لا أرى بينهما فرقا ... " وفيما ذهب إليه الرضي تغيب للمقام، فإن الحال غير التمييز ففي  
جعله حالاً اقتضى سياقاً غير سياق التمييز، وإلا كان التمييز والحال وظيفتين بمعنى واحد؛ فإن أردت الهيئة  
كان حالاً وإن أردت الذات فهو تمييز.

#### احتفاء البلاغيين بالمقام

أما البلاغيون فانطلقوا من النظر إلى التراكيب على أساس " موافقة الكلام لمقتضى الحال " أو من  
مقولة " لكل مقام مقال " وقد أكد عبد القاهر الجرجاني في " دلائل الإعجاز " في أكثر من موضع على  
أهمية المقام وتأثير عناصره على المقال دلاليا وتركيبيا، بل يجعل مزايا النظم " بسبب المعاني والأغراض التي  
يوضع لها الكلام (٢٨) " .

كما أكد الجرجاني - أيضا - أن النظم يقوم على نوعين من العلاقات :

- العلاقات التركيبية التي تعلق فيها الكلم " بعضها ببعض ويبني بعضها على بعض " (٢٩) وفق ما  
يقتضيه علم النحو " (٣٠).

- العلاقات الدلالية التي تنشأ في التراكيب " وتترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في  
النفوس.... " (٣١)، ولكن عبد القاهر يجعل للعلاقات الدلالية المزية في النظم؛ ولذا نراه يدعو إلى النظر في  
أنماط من التراكيب بينها فروق دقيقة، ولها صور خاصة من : وجوه الفروق في الخبر، والتقديم والتأخير،  
والتعريف والتكثير، والذكر والحذف والإظهار والإضمار والتأكيد والقصر والإثبات والنفي والفصل  
والوصل ... وهو يحلل ذلك تحليلاً رائعاً مصوراً ما يدل عليه كل نمط، من أنماط التراكيب، من معان؛  
حتى يؤلف منها علم المعاني، أحد علوم البلاغة الثلاثة.



وقد حصر البلاغيون بعد عبد القاهر مفردات هذا العلم من حيث تناول أحوال المسند والمسند إليه، باعتبارهما قائمين بعملية الإسناد، " لا من حيث كونهما دالين في صياغة مفيدة؛ لأن الاعتبار الثاني يُدخلنا في دائرة ( علم البيان ) لأنها تتعلق بهذا الاعتبار " (٣٢).

وهذه الأحوال تمثل ما يطرأ على البنية الإسنادية من أنماط تركيبية تنشأ عن : تحريك العناصر اللغوية من أماكنها إلى أماكن جديدة ليست لها في الأصل، أو إدخال عناصر أو حذفها أو فصلها بعضها عن بعضها ... أو غير ذلك من مظاهر العدول عن الأصل التي ذكرنا.

والبلاغيون لا يعتقدون، من حيث القيمة البلاغية، إلا بما يمثل عدولا عن الأصل، أو عن المستوى العادي المؤلف؛ فإذا كان النحوي يشرح تركيباً من نحو :

#### - ضاحكاً جاء زيد

بما ذكرناه في موضعه، فإن البلاغي يحرص على بيان أن تقدم (ضاحكاً) جاء لغاية يتغيها المتكلم ليحقق احتياجات المخاطب أو المتلقى الدلالية؛ ف ( ضاحكاً) تحمل وظيفة تداولية، قد تكون للتخصيص أو للتفاؤل أو لغير ذلك من مقاصد التقدم وأغراضه، أي أن البلاغي يحرص على كشف الإرادة الاستعمالية للتركيب المنجز، وهذه الإرادة شيء زائد على التركيب؛ لأنها مرتبطة بسياق الحال وموافقة لمقتضاه؛ فالقصد ليس مسلطاً على التركيب في ذاته حسب، وإنما في خواصه كما يقول السكاكي (٣٣)؛ ولذا كان التركيب:

#### - جاء ضاحكاً زيد.

مختلفاً عن :

#### - ضاحكاً جاء زيد.

لأن ( مقتضى الحال ) أو الاعتبار المناسب ( للحال ) يستدعي في كل من التركيبين السابقين المختلفين بنية؛ ناتجاً دلالياً يوافق سياقهما ومقامهما، وتقويت ذلك يشد البنية إلى جبرية تناسب وظيفتها اللغوية لا التداولية (٣٤).

وهكذا ينطلق البلاغي من النظر إلى التراكيب على أساس صورتها الظاهرة المنجزة في إطار من التفاعل بينها وبين مقتضيات المقام.

وإدراك هذه القيمة وجمالياتها في التراكيب يستلزم استحضار الأصل واستصحابه ليقاس عليه ضبط درجة العدول كمّاً وكيفاً (٣٥)؛ وبيان ذلك أننا إذا قلنا :

#### - ضرباً عمراً زيد.

فلا بد من حضور أصل التركيب، وهو هنا :

- ضرب زيداً عمراً.

أي توسط المفعول بين الفعل وفاعله؛ ولا شك أن تحريك أي عنصر من مكانه إلى مكان ليس له في الأصل يُنبئ عن مقصد وغاية، فالنحوي يقول: " للعناية والاهتمام " على حد قول سيويه (٣٦) وتبعه النحاة من بعده، أما البلاغيون، وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني، فقد ذكر أغراضاً أخرى كالتأكيد والتقوية والتخصيص (٣٧) ... كما سنبين ذلك تالياً.

ويجدر أن نذكر هنا أن ابن جني ومن بعده عبد القاهر قد اتخذوا من تقدم المفعول أصلاً قاسماً عليه حالات أسلوبية، ويقوم هذا الأصل على أنه كلما ابتعد المفعول أكثر عن الأصل الذي بدأ التركيب منه زادت العناية بشأنه والتنبيه عليه، قال ابن جني (٣٨): " أصل وضع المفعول أن يكون فضلة وبعد الفاعل كـ :

- ضرب زيد عمراً.

فإن عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل فقالوا :

- ضرب عمراً زيد.

فإن ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصب فقالوا :

- عمراً ضرب زيد.

فإن تظاهرت العناية به عقدوه على أنه ربُّ الجملة، وتجاوزوا به حد كونه فضلة، فقالوا :

- عمرو ضربه زيداً.

فجاءوا به مجيئاً ينافي كونه فضلة ... "

وقال عبد القاهر (٣٩): " ... وأظهر من هذا قولنا :

- ضربت زيداً.

و

- زيداً ضربته.

لم تقدم ( زيداً ) على أن يكون مفعولاً منصوباً بالفعل كما كان، ولكن على أن ترفعه بالابتداء وتشغل الفعل بضميره وتجعله في موضع الخبر له ... "

وأفاد الرمخشري من ذلك فقال في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لِبِأْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾. إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون. أتفكراً آلهة دون الله تريدون. فما ظنكم برب العالمين { الصافات: ٨٣-٨٦.

قال الزمخشري (٤٠) : " (أفكاً) مفعول له، تقديره : أتريدون آلهة من دون الله إفكاً، وإنما قدم المفعول على الفعل للعناية، وقدم المفعول له على المفعول به؛ لأنه كان الأهم عنده (أي عند إبراهيم) أن يكافحهم بأنهم على إفك وباطل في شركهم ... "

### التراكيب العُدولية ومقاصدها التداولية

ونقف عند أمثلة من التراكيب العُدولية أو الأشكال التحويلية ومقاصدها التداولية التي تصاحب العُدول أو التحول عن الأصل، توضح ما قدمناه :

<u>المسئال</u>	<u>مظاهر العُدول</u>	<u>مقاصد العُدول عن الأصل</u>
١- قائم زيد	تقديم الخبر	أفاد تقديم الخبر (قائم) على المبتدأ (زيد) التخصيص، أي تخصيص المسند بالمسند إليه، فقولك : قائم زيد لمن يقول : زيد إما قائم أو قاعد (٤١) فلما قدم الخبر أزال المتكلم الوهم من ذهن المخاطب بقوده.
٢- (الملك وله الحمد) التغابن: ١	تقديم الجار والمجرور	الاختصاص والحصر؛ أي اختصاص الملك والحمد بالله لا بغيره، ولو قال: الملك له، لكان إخباراً بأن الملك له دون نفيه عن غيره.
٣- هو يُعطي الجزيل، وهو يحب الثناء	تقديم المسند إليه على الفعل	تقوله لمن ينكر أو يشك في ذلك، فتقدم المسند إليه (هو) على الفعل، تريد أن تُحقق على السامع أن إعطاء الجزيل وحب الثناء دأبه، وأن تُمكن ذلك في نفسه (٤٢).
٤- ما أنا قلتُ هذا	==	التخصيص بالخبر الفعلي إن ولي حرف النفي؛ فأفاد نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك. وأما قولك : ما قلتُ هذا، فهو نفي الفعل عنك ولم تثبته لغيرك (٤٣).
	==	

٥- أأنت بنيت الدار؟ = = =  
تقوله إذا كنت شاكاً في الفاعل وأما إذا  
قلت : أبنيت الدار؟ فهو شك في الفعل  
نفسه (٤٤).

٦- (ولو ترى إذ يتوفى الذين تقدم المفعول به  
كفروا الملائكة)  
الأنفال: ٥٠

بيان حال، فالسياق في حال الذين  
كفروا وتغليظ عقوبة الكفر، فقدم المفعول  
به على الفاعل إشعاراً بما يلقاه الذين كفروا  
من العذاب على أيدي الملائكة حال ضربهم  
الكفار

(أغير الله أبعي رباً)  
الأنعام: ١٦٤ = = =  
التخصيص والحصر؛ والمعنى : نخصك  
بالعبادة ونخصك بطلب المعونة  
كقوله تعالى : ( أغير الله تأمروني أعبد )  
الزمر: ٦٤ (٤٥).

والتقديم والتأخير عند النحويين لغرض الاهتمام والعناية، وتختلف العناية والاهتمام باختلاف المقام  
عند البلاغيين؛ إذ التراكيب عندهم تؤخذ في مواطنها وسياقها؛ فقد عددوا مجموعة سياقات إضافية أخرى  
للتقديم والتأخير؛ منها : الافتخار، والتشاؤم، والتعظيم، والتحقير، وتعجيل المسرة أو المساءة، الغرابة، ورد  
الخطأ في التعيين، والتوكيد ....

٨- (ولما ورد ماء مدين وجد حذف المفعول  
عليه أمة من الناس يسقون...)  
القصص: ٢٢

حذف مفعول يسقون بغرض توفر العناية  
على إثبات الفعل لفاعله حسب، نحو  
قولك:

هو يعطي ويمنح، تريد أن تثبت العطاء  
والممنح عنده، والمراد هنا أنه كان منهم  
سقي دون تعلق بغرض آخر.

٩- المروءة والنجدة حذف الفعل  
تنبيه المخاطب على أمر محمود ليفعله (بطلب  
الإغراء).

١٠- الكذب والحيانة = = =  
تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليجتنبه؛ قال

السيوطي: التنبيه على أن الزمان يتقاصر  
عن الإتيان بالمحذوف، وأن  
الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم،  
وهذه هي فائدة في باب التحذير  
والإغراء (٤٦)

ذهب البيانون إلى أن الاشتغال قد يفيد  
تخصيصاً أو توكيداً وذلك وفق تقدير الفعل  
المحذوف، فإذا قدرنا الفعل المحذوف بعد  
الاسم المنصوب، نحو: الأمانة أديت  
أديتها؛ أفاد تخصيصاً لأن المفعول إذا تقدم  
على فعله أفاد تخصيصاً، وإذا قدرناه قبل  
الاسم، نحو: أديت الأمانة أديتها؛ أفاد  
توكيداً، وذلك لتكرير اللفظ (٤٧)  
وذهب النحويون إلى أنه يجب  
تقديره قبل الاسم المنصوب، فلا  
يفيد تخصيصاً عندهم.

طلب الإقبال (باب النداء)

غرض المتكلم وليس المخاطب  
الفخر، فالاختصاص يراد به  
توضيح الضمير (نحن) وتخصيصه  
وتخليصه وتمييزه من غيره، والباعث عليه -  
كما ذكرنا - هو الفخر

التفخيم والتعظيم؛ أي تفخيم هول الموقف  
وتعظيمه، فحذف الجواب لتذهب النفس  
أي مذهب في تصوير هذا الهول، وتقدير  
الجواب: لرأيت أمراً فظيماً (٤٨).

١١- الأمانة أديتها

===

١٢- يا زيد، أقبل

===

١٣- نحن العرب نكرم الضيف

===

١٤- (ولو ترى إذ الظالمون في  
غمرات الموت...)  
الأنعام

حذف جواب الفعل

ويعدد البلاغيون، أيضاً، مجموعة سياقات إضافية للحذف؛ نحو: عدم تعلق الغرض بذكر المحذوف، والجهل به، واحتقاره، والخوف عليه، وإيمانه، وتعظيمه، وتعميمه، والتخفيف من عبء الكلام وثقل الحديث، والاختصار، والاحتراز عن العبث، واختبار تنبه السامع....

١٥- جاء الأمير بنفسه زيادة الباء  
الاهتمام والتعظيم؛ فلو قلت: جاء الأمير نفسه، معناه أنه هو الذي جاء وليس غيره، وأما قولك: جاء الأمير بنفسه، ففيه دلالة لا تظهر في المثال الأول، لأن قولك (بنفسه) يحمل معنى آخر هو أنه لم ينب أحداً غيره، وفي ذلك معنى الاهتمام والتعظيم.

١٦- الذي يأتي فله مكافأة زيادة الفاء  
الإتيان بالفاء يفيد التخصيص على السبب، وهو أصل معانيها؛ فاستحقاق المكافأة بسبب الإتيان، وإذا حذفت الفاء لم تجعل استحقاق المكافأة بالإتيان حسب، بل يحتمل ذلك بالإتيان وبغيره.

١٧- نجح محمد محمد تكرير اللفظ  
التوكيد لتمكينه في ذهن السامع.  
١٨- (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض) اعترض بالجملة (لقد علمتم)  
التقرير وتقوية الكلام، قال العلوي: وفائدته تقرير عليهم بالبراءة عن الفساد والبعث عن تهمته السرقة (٤٩) ...  
يوسف: ٧٣ بين القسم وجوابه  
وللاعتراض أغراض أخرى؛ لأن الجملة المعترضة أجنبية عن مجرى السياق، فقد يأتي الاعتراض للدعاء أو للقسم أو للنفي أو الوعد ... (٥٠)

١٩- (ولتجرنهم أحرص الناس على حياة) التنكير في (حياة) التحقير، أي: على أي حياة ولو كانت حقيرة، أرادوها حياة متطاولة (٥١) البقرة: ٩٦

وعدد البلاغيون والنحويون سياقات أخرى للتنكير، نحو: التقليل، والتكثير، والتخصيص، والتهويل، والتعظيم.

٢٠- زيد المنطلقُ التعريف بأل والأصل  
القصر حقيقة: التعريف في الخير (المنطلق) (المنطلق) (المنطلق)  
التنكير (زيد) قصر الإنطلاق على (زيد) دون

غيره، وذلك حين يظن السامع أن المنطلق هو غير زيد. وإذا قلت: زيد منطلق، أفاد الإنطلاق لزيد من دون نفيه عن غيره.

التعيين؛ لأنك لا تقوله إلا إذا كان المخاطب يعرف الكتاب.

٢١- اشترت الكتاب = = =

القصر مبالغة؛ فكأنك قصرت الجود على (زيد) مبالغة، تريد أنه هو المختص بهذا المعنى (٥٢)

٢٢- زيد الجواد = = =

استعمل الموصول لغرض العزوف عن تحديد مدلوله بذكر اسم امرأة العزيز لغرض التحقير، أو استهجان التصريح بالاسم؛ فذكر الاسم لا يفيد ما أفاده الموصول.

٣٢- (وراودته التي هو في بيتها التعريف بالموصولية عن نفسه) يوسف: ٣٢

التفخيم، أي غشيم أمر كبير، غشيم ما لا يعلم كنهه إلا الله .

٢٤- (فغشيم من اليم ما غشيم) طه: ٨٧ = = =

التحقير؛ والأصل الإشارة إلى الأشياء المحسة، وهو هنا؛ كاستعمال الاسم الموصول السابق.

٢٥- (وإذ رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا لهذا السذي يذكر آلهتكم) الأنبياء: ٣٦

التنبيه على غباوة السامع، على معنى أن قوى المخاطب الإدراكية لا تستطيع

٢٦- قال الفرزدق: = = =

استيعاب المعنى إلا بالإشارة الحسية (٥٣).

(أولئك آبائي فجئني بملهم إذا جمعتنا يا جرير المجمع

تعظيم الأمر وتفخيم الشأن؛ قال الرضي: كأنه سمع ضوضاء وجلبة فاستبهم الأمر فيسأل: ما الشأن والقصة؟ فقلت: هو الأمير مقبل (٥٤).

التصرف بالضمير (ضمير الشأن)

٢٧- هو الأمير مقبل

هذه طوائف من التراكيب العدولية ( التحويلية ) التي عرض لها علماء المعاني، نقف عندها من حيث

هي ظواهر تداولية مختلفة تتحدد خصائصها التركيبية ونتاجها الدلالي وفقاً للمقامات المنحزة فيها.

ومن الملاحظ أن طرقي الاتصال: المتكلم، والمخاطب ( المتلقي ) أكثر عناصر المقام تحكماً وحضوراً؛

كما نلاحظ أن علاقتهما بالتراكيب متفاوتة :

- فقد يتساويان حضوراً، كما نجده مثلاً في التراكيب : ١، ٥، ٩، ١٠، ١٢، ...

- وقد يكون حضور أحدهما أكثر من الآخر، كما في : ٤، ١١، ٦، ٧، ١٤، ...

- وقد يغيب السياق الخارجي في بعض التراكيب، ليفرض السياق الداخلي سيطرته منفرداً كما نجد

ذلك في الأمثلة : ٥، ١٧، ١٩ ...

### العناية بالجملة بكل احتمالاتها التركيبية

ولا يعني هذا أن البلاغيين اهتموا بطرقي الاتصال : المتكلم والمخاطب حسب، فقد اعتدوا أيضاً

بالظروف المحيطة وأدركوا " أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وأنها شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلمها،

وأن هذه الثقافة يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التي يسمون كلاً منها

مقاماً؛ فمقام الفخر غير مقام المدح، وهما يختلفان عن مقام الدعاء أو الاستعطاف ... " (٥٥) ولعل ما

يفسر عنايتهم بطرقي الاتصال أكثر من عناصر المقام الأخرى؛ أنهم عنوا بالجملة بكل احتمالاتها التركيبية؛

فأقاموا دراستهم على هذه الاحتمالات، واستشهدوا لها بتراكيب جزئية كما كان ذلك صنيع النحاة؛ ولذا

لا يمكن أن يدعى بأن تطبيقات عبد القاهر الجرجاني في " دلائل الإعجاز " و " أسرار البلاغة " قد

تجاوزت الاجتراء إلى النص الكامل " لأن طبيعة المنهج، في عصره، قد فرضت عليه هذا التوجه الذي يقوم

على سيطرة الملاحظ الجزئية في النظر إلى الواقع؛ وقد انعكس ذلك على البحث اللغوي عموماً، وهذا ما

نجده في الدرس الحديث؛ إذ لا نجد فيه من يتعامل مع النص الكامل تحليلاً وتفسيراً (٥٦)، وهذا لا ينفي

أن عبد القاهر قدم نظرية لغوية مكتملة استوعب فيها ما سبقه من جهود وأتاح لمن سار على نهجه أن

يتعامل بمنهجه، وآية ذلك ما قام به الزمخشري في " الكشاف " فقد طبق فكر عبد القاهر تطبيقاً دقيقاً،

استطاع من خلاله أن يقف على الخصائص البنيوية والدلالية للتراكيب القرآنية، وأن يظهر جمالها

وروعتها؛ ومن أمثلة ذلك ما كان يجيء به تحت أسلوب " الفنقلة " (٥٧) على امتداد " الكشاف " من

ذلك مثلاً ما جاء في قوله تعالى : ( لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب

لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ... ) الشورى : ٤٩-٥٠.



قال الزمخشري (٥٨): " فإن قلت: لم قدم الإناث أولاً على الذكور مع تقدمهم عليهن، ثم رجس فقدمهم؟ ولم عرف الذكور بعد ما نكر الإناث؟ قلت: لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى ( الآية ٤٨ ) وكفران الإنسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده، ثم عقبه بذكر ملكه ومشيتته وذكر قسمة الأولاد، فقدم الإناث؛ لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الإنسان، فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم، والأهم واجب التقديم، وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء، وأخر الذكور، فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيرهم، وهم أحقاء بالتقدم بتعريفهم؛ لأن التعريف تنويه وتشهير؛ كأنه قال: ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم، ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير، وعرف أن تقدمهم لم يكن لتقدمهم، ولكن لمقتضى آخر فقال: ( ذكراً وإناثاً ) كما قال: ( إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ) الحجرات: ١٣ ."

وواضح أن الزمخشري قدم تحليلاً مدهشاً من خلال كشفه عن العلاقات الداخلية في النص، وأقام تفاعلاً بين النص وسياقه الخارجي ليكشف ما صاحب التقديم من عناية واهتمام، وما صاحب التعريف من تنويه وتشهير بالمعرف، معللاً ذلك بما كان عليه العرب من عادات وتقاليد.

وكثيراً ما كان يتوصل إلى معنى التراكيب القرآنية باعتبار بعد خارجي يتحكم في فهمها وتحديد المراد منها، من نحو اعتبار: أسباب التزول أو اعتبار عقدي أو شرعي أو تفسير مأثور، أو عادات وتقاليد، أو ملابسات وقرائن أخرى ...

من ذلك ما أورده ابن هشام الأنصاري في " مغني اللبيب " في مسألة حذف المضاف، قال في قوله تعالى: ( وجاء ربك ) الفجر: ٢٢ وقوله: ( فأتى الله بنيانهم ) النحل: ٢٦، أي: وجاء أمر ربك، فلتى أمر الله ... وذلك لاستحالة مجيئه وإتيانه سبحانه.

ومن ذلك، أيضاً، ما نسب فيه حكم شرعي إلى ذات؛ لأن الطلب لا يتعلق إلا بالأفعال، نحو: ( حرمت عليكم أمهاتكم ) النساء: ٢٣، أي استمتاعهن ... " (٥٩).

ومن ذلك، أيضاً، قوله تعالى: ( قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا ) الملك: ٢٩ حيث أخرج (به) عن ( آمنا ) وقدم ( عليه ) على ( توكلنا )؛ قال الزركشي: (٦٠) " فإن الإيمان لما لم يكن منحصرأ في الإيمان بالله بل لا بد معه من رسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر، مما يتوقف صحة الإيمان عليه، بخلاف التوكل فإنه لا يكون إلا على الله وحده ... قدم الجار والمجرور فيه ليؤذن باختصاص التوكل من العبد على الله دون غيره ."

وواضح من كلام الزركشي أن تأخير الجار والمجرور في ( آمنا به ) لم يرد به الحصر والاختصاص بخلاف تقديمه في ( وعليه توكلنا ) فقد أراد اختصاص التوكل بالله، وهي قضية عقدية.

ولا يحتاج إلى مزيد أمثلة، ويكفي أن ننظر، مثلاً، في هذه الآيات الكريمة :

- ( فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ) الأعراف: ٣٤

( إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ) يونس: ٤٩

- ( وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ) يس: ٢٠

( وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ) القصص: ٢٠

- ( إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ) الزخرف: ٦٤

( إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ) آل عمران: ٥١

- ( إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ) التوبة: ٥٥

( إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا ) التوبة: ٨٥

وواضح أن هذه الآيات الكريمة تباينت بنياتها وتنوعت هيئاتها وفقاً لتنوع المقامات، والنظر في ما

قدمه المفسرون من تحليلات وما كشفوا عنه من ملابسات وقرائن، داخلية وخارجية، تدل على عبقرية منهجهم في فهم آيات القرآن الكريم.

### علم التراكيب والمناهج اللسانية الحديثة

ومنذ مطلع هذا القرن حتى منتصفه أكدت الدراسات اللسانية الحديثة خاصة على علم التراكيب؛ فقد

نشأت في أعقاب انحسار المنهج التقليدي وإعادة النظر في مقولات المنهج التاريخي المقارن؛ مناهج

لسانية اختلفت منطلقاتها ومناهجها في وصف التراكيب اللغوية :

فالمنهج البنيوي الوصفي اهتم بالمادة اللغوية فقط جاعلاً من الدرس اللساني مجموعة من الخطوات

التحليلية لوصف التراكيب اللغوية، ولم يحفل بطرائق التوليد اللغوي، كما أنه أبدى اهتماماً ضعيفاً بوظائف المكونات داخل الجملة.

أما المنهج التحويلي التوليدي فيصف الظاهرة اللغوية دلاليًا؛ برّد بنياتها السطحية المنجزة فعلاً إلى بنية عميقة، دون اعتبار البعد الخارجي للظاهرة، من موقف المتكلم والمخاطب والظروف الكلامية التي تكتنفها.

وقد فرض تطور علم الدلالات على الباحثين اعتبار العناصر الدلالية جزءاً أساسياً في وصف الظاهرة اللسانية وتفسيرها؛ مما استتبع إدخال عدد كبير من المعطيات اللغوية الجديدة وطرح قضايا معرفية ونظرية جديدة (٦١)، تعالج القصور أو تسد الثغرات التي لم يتنبه إليها منهج التحويل؛ فهو لم يوجه الاهتمام الكافي إلى أثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، كما أنه جعل النحو عملية آلية تتولد التراكيب

بوساطة قواعد تحويلية حسب؛ ولم يقدم أو يعط أي تبرير وظيفي لحدوث هذه التحويلات في مراحل مختلفة من توليد الجملة (٦٢)، ولا سيما الجانب التداولي.

وتبرز مناهج متعددة تحاول تفسير اللغة من زوايا مختلفة، ومن هذه المناهج:

### المنهج الوظيفي الذي يقف على النقيض من المنهج التحويلي.

والوظيفية نظرية في اللغة تعطي حل عنانها لوظائف المكونات في الجملة (٦٣). وهي تستند إلى البعد التداولي للغة، بحكم أنها وسيلة تواصل. ويتميز الاتجاه الوظيفي من بين الاتجاهات الأخرى بأنه "يربط اللغة بالوظيفة التي تؤديها من جانب، وبالبيئة الاجتماعية وتضافر العناصر من جانب آخر" (٦٤) ولذلك نجد الوظيفيين ينكبون على الأشكال الدلالية ويعتبرون المقام وينظرون في القول، مقابل انكباب البنيويين والتحويليين على الأشكال الدالة واهتمامهم بالنظام اللغوي ونحسهم عن الجهاز المختفي وراء القول (٦٥)؛ بيان ذلك أننا إذا قلنا :

١- سمع عليّ الكلام.

٢- سمع الكلام عليّ.

٢- الكلام سمع عليّ.

٤- الكلام سمعه عليّ.

فهذه تراكيب مختلفة في بنائها، وهي تؤدي عند الوظيفيين وظائف مختلفة بحيث يغدو كل تركيب تعبيراً عن اختيار لغوي يناسب سياق التللفظ ويحقق أهدافاً تواصلية محددة، فكل تركيب يركز على جانب معين من الحدث؛ ولذا فإن هذه الجمل لا تعد مترادفة، بل كل واحدة منها "قوة تعبيرية متميزة مستمدة من الدور الذي يؤديه كل أسلوب في الحياة الاجتماعية" (٦٦) ولذا، أيضاً، يعد الوظيفيون هذه التراكيب مفاهيم أولى (Primitives) أي أنها تولد في المواقع المحددة لها؛ فهي ليست مشتقة من بنيات أخرى، بالنقل أو التقدم أو التأخير أو غير ذلك. ويرتبط هذا بالفرضيات النفسية حول إنتاج الكلام وفهمه، وهذه مرتبطة بالظروف الخارجية الملابس التي تشكل بنية التراكيب بداية أي تنتجها كما ترد صورها حال النطق بها، فليس هناك ترتيب مسبق تتم إعادة ترتيبه؛ فالتركيب الثاني يعالجه الوظيفيون ومن انتفع بأنظماهم في وصف العربية، على أساس توسط المفعول بين الفعل والفاعل، وأن هذا الموقع الذي احتله المفعول يمثل وظيفة "المحور" (٦٧)، وهي وظيفة تداولية تسند للمحدث عنه داخل الجملة بقصد الاهتمام والعناية به، وتزداد هذه العناية في التركيبين: الثالث والرابع، كما سنبينه تالياً.

أما التحويليون فكانوا ينظرون إلى التراكيب: الثاني والثالث والرابع، بأنها متفرعة من الأول، وأمکن إنتاجها وتوليدها من بنية عميقة يحولها المتكلم إلى بنية سطحية وفق قواعد التحويل المعروفة (٦٨)؛ ولذا تُعد؛ وفق هذا النحو، مفاهيم ثانية، وتراكيب مترادفة، ولكنهم لم يعودوا ينظرون إلى هذه الأمثلة نظرتهم السابقة؛ ففي التعديل الأخير الذي طرحه " تشومسكي " عام ١٩٩٦ - كما أفاد أحد محكمي هذا البحث - " بدا أنهم يعدون الجمل الأربع تصارعت فيما بينها، وقد آلت جميعها إلى الاستعمال الفعلي، وهذا ما يسمى عندهم ( صراع الأنماط ) " ولم أقف على هذا التعديل .

### اللسانيات الوظيفية وأنظارتها

إن دراسة التراكيب اللغوية بمعزل عن محيطها لا يحقق أهداف التعبير والتواصل وغاياتهما، ولا يفرق الأداءات المختلفة عن بعضها؛ لأن اللغة واقع اجتماعي حي، وأبنيتها تحدد أولاً على أساس أنها علاقات وأنظمة داخلية تتأثر بما يكتنفها من مؤثرات خارجية، ثم على أساس أنها وسيلة للتواصل، والفرق بين المناهج المختلفة إنما يكمن في مدى الإيمان بآثارها في التراكيب.

لقد حولت الوظيفية وجهة البحث من موضوع المعرفة، المتمثل في اعتبار اللغة تراكيب ودلالات إلى فاعل المعرفة المتمثل في اعتبار اللغة خطاباً وتلفظاً وإنجازاً، أي حولته، في نهاية الأمر، إلى وجود الإنسلك في لغته (٦٩)؛ وهذا يستدعي أن نعرض مراحل تطور هذا الاتجاه، لنقف على أنماط المعالجات المختلفة عبر هذا التطور، نعرضها في صورة موجزة تتلاءم وما نرومه، هنا، من غايات؛ فقد تفرع هذا الاتجاه إلى أنظلم ومدارس يضيق بها هذا البحث.

وتعود بدايات هذا المنحى في الدرس اللساني الغربي الحديث إلى :

\* مدرسة براغ " **Prague** " التي بلغت أوج نشاطها في القرن الماضي (١٩٤٠)، والتي تتميز

بالحاحها على دراسة وظائف اللغة، وقد اتخذ هذا الإلحاح وجهين :

أولهما : وظيفة اللغة في التواصل. وثانيهما : الوظائف التي تؤديها مستويات اللغة (٧٠).

ويعد " المنظور الوظيفي للجملة " **Functional Sentence Perspective** " من أبرز

توجهات هذه المدرسة، وتتكون الجملة، في هذا المنظور، من قسمين: مسند (Theme) ومسند إليه (Rheme)، ويتقدم المسند، غالباً، المسند إليه في النسق المألوف المحايد للجملة، وهو النسق الذي تأتي فيه عناصر الجملة على الأصل، في مفهوم هذا المنظور، بأن يتقدم المسند ويتأخر المسند إليه، ويتغير هذا النسق بقصد العناية والاهتمام أو بهدف التركيز على عنصر معين بالتقدم والتأخير في عناصر الجملة، ومثال ذلك:

-وصل المسند المسند إليه  
الوفد الطلابي العربي إلى عمّان أمس  
- الوغد الطلابي العربي وصل المسند إليه  
إلى عمّان أمس المسند

ومفهوم المسند والمسند إليه، في هذا المنظور، يختلف عن مفهومهما في النحو العربي، فهما مستعملان، هنا، باعتبار " عنصر المعلومات " فالمسند أو الموضوع : ما كان معلوماً لدى السامع في مقام تواصلية، والمسند إليه : ما يضيفه المتكلم من معلومات جديدة تُسهم في تنامي الخبر؛ فالمثال الأول جواب للسؤال :  
من وصل إلى عمّان أمس ؟  
والمثال الثاني جواب للسؤال :  
أي وفد وصل إلى عمّان أمس ؟  
ونظيرهما قولك :

-القناعة كثر لا يفنى  
المسند المسند إليه  
- حقق محمد نتيجة باهرة في الامتحان  
المسند المسند إليه

ويطوّر هذا المنظور بإدخال مفهوم جديد يسمى " دينامية الاتصال " " Communicative Dynamism " وهي " خاصية من خاصيات الاتصال تتجلى في سياق تنمية المعلومات التي يراد التعبير عنها " (٧١) والجملة في هذا المفهوم تتكون من : المسند، ويعبر عن أقل درجة في الرسالة اللغوية، والمسند إليه، ويشكل المعلومة الجديدة فيها، والوحدة الانتقالية " Transition element " وتمثل العناصر الإضافية اللازمة لاستقامة الجملة أو ما يعرف عند البلاغيين العرب بمتعلقات المسند والمسند إليه، ومثال ذلك قولك :

ضاع قلبي في المكتبة  
وحدة انتقالية المسند المسند إليه

جواباً لمن سأل :

أين ضاع قلبي ؟

ولكي تحدد هذه المكونات، وفق هذا المنظور، لا بد من اعتبار نسق الجملة، أي كيفية ترتيب الأجزاء فيها، والسياق الخارجي، والبنية الدلالية للجملة.

هذه أهم التصورات لمدرسة (براغ)، والواضح أن مسلك هذه المدرسة كان منصباً على الكيفية التي تزود بها اللغة المتكلم بعدد من الأساليب والاختيارات مناسبة لظروف مقامية مختلفة.

\* أما مدرسة " فيرث " " J.R.Firth " فيعد مفهوم سياق الحال " Context of situation " أهم ما قدمته هذه المدرسة.

وسياق الحال عند الفيثيين مجموعة من العناصر المكونة للموقف الكلامي، وقد ذكرناها عند الحديث على مصطلح التداول (٧٢)، والجملة تكتسب دلالاتها من ملاسبات الأحداث وسياقها، وهذه الأهمية للسياق ألح عليها، أيضاً، هاليداي " M.Halliday " المؤسس الثاني لهذه المدرسة بعد فيرث (٧٣)؛ الذي اكتملت على يديه أسس " النحو النظامي System Grammar "، ويركز هذا النحو على الجانب الوظيفي للغة، ويجعل همه تصنيف الوظائف النحوية ضمن نظام يبين استعمالاتها، من ذلك، مثلاً، ما جاء في باب " التعدي وال لزوم " (٧٤) :

<u>شرح</u>	<u>المعلم</u>	<u>الدرس</u>
حدث	عامل	هدف يتجاوز إليه النشاط
- <u>مرض</u>	<u>عميد</u>	الكلية
حدث	متقبل	نشاط قاصر

وواضح أن نمط التعدي وال لزوم في هذا النحو يتمثل في العلاقات بين النشاط والمشاركين، فحين ينحصر النشاط في الفاعل أو المتقبل فهو نشاط قاصر، وحين يتجاوز النشاط العامل إلى عنصر آخر فهو نشاط مجاوز .

هذه هي أهم التصورات التي طرحتها مدرسة (براغ) ومدرسة (فيرث)، ويوصف أصحابها بللوظيفيين التقدميين.

وينشط الاتجاه الوظيفي في السبعينات على يدي وظيفيين جدد يتوسعون في هذا المنحى من البحث اللغوي؛ فتشتهر أنظار، منها " النحو الوظيفي " " Functional Grammer " الذي اقترحه " سيمون ديك " Simon Dik في السنوات الأخيرة.

وتشتمل بنية النحو كما يقترحها النحو الوظيفي على مستويات تمثيلية ثلاثة :

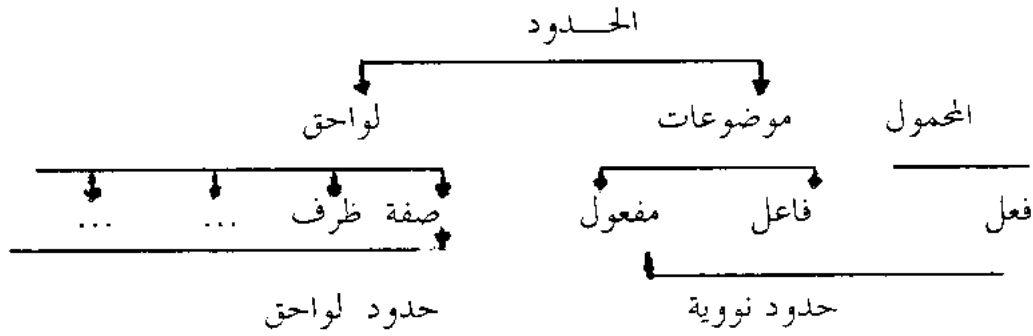
- مستوى لتمثيل الوظائف الدلالية، وهي : المنفذ، المتقبل، المستقبل، المستفيد، الأداة، المكان، الزمان ويوضح الرسم التالي والمثال المذكور هذه الوظائف.

- مستوى لتمثيل الوظائف التركيبية، وهما وظيفتان : الفاعل، والمفعول.

- مستوى لتمثيل الوظائف التداولية، كوظيفة المبتدأ، ووظيفة المحور (٧٥).

وتتميز الوظائف التداولية بخاصية تميزها من الوظائف الدلالية والوظائف التركيبية، فهي " مرتبطة بالمقام، أي أن تحديدها لا يمكن أن يتم إلا انطلاقاً من الوضع التخاطبي بين المتكلم والمخاطب في طبقة مقامية معينة " (٧٦).

وتشتق الجملة، وفق هذا النحو، بوساطة بنيات ثلاث، هي : البنية الحملية ( الدلالية ) والبنية الوظيفية والبنية المكونية. وتتكون البنية الحملية من أطر حملية (أصول ) كالفعل، وأطر (حدود) هي سائر الكلمات في الجملة، وباستخدام قواعد تكوين المحمولات يتم تكوين " أطر حملية نووية " تشتمل على الحدود الموضوعات، أما الحدود للواحق فتكونها قواعد توسيع الأطر الحملية، ثم تقوم قواعد إدماج الحدود بدمج الحدود في المحلات وفقاً لقيود الانتقاء؛ ليتم بذلك تكوين البنية الحملية التي تتضمن الوظائف الدلالية، ويمكن توضيح ذلك بالرسم التالي :



ويمكن التمثيل لما سبق بالجملة :

شرباً	شايأ	زيدأ	شربأ	
المستوى النحوي	مفعول	فاعل	فعل	
المستوى الدلالي	متقبل	منفذ	محمول	
المستوى التداولي	بؤرة	محور		

فالفعل ( شرب ) يمثل له في العربية ضمن الإطار المحمولي التالي :

- شرب : فعل : حي، ( منفذ )، ( متقبل )

أي إن فاعل هذا الفعل كائن حي يقوم بوظيفة ( المنفذ )، ولا بد له من سائل يقوم بوظيفة ( المتقبل ).

والفعل ( خاف ) يمثل له ضمن الإطار المحمولي :

- خاف : فعل ( صفة )، حي

أي أن هذا الفعل يوصف به كائن حيّ يقوم بوظيفة الموصوف. وتعدّ الأطر المحمولية، في هذا النحو، دالة على واقعة يقوم كل حد من حدود المحمول بالنسبة إليها بدور معين، وتنقسم الوقائع إلى أعمال وأحداث وأوضاع وحالات، مثل ذلك على التوالي : شرب، فتح، جلس، فرح.

وتنقسم حدود المحمول، كما يظهر من الرسم، إلى قسمين: موضوعات ولواحق، فالفعل (شرب) موضوعاه هما : المنفذ والمتقبل، ولاحقه هو الزمان ( صباحاً في المثال).

وتشكل الحدود الموضوعات أطراً حمله نووية، وهي نظير الأركان الرئيسة في الجملة العربية وأمّا الحدود اللواحق فهي نظير الفضلات عند نحائنا القدماء.

وتعد البنية الحمله مدخلاً (Input) للبنية الوظيفية بوساطة قواعد إسناد الوظائف، وتتحول البنية الوظيفية باستخدام قواعد التعبير، التي تحكم الحالات الإعرابية والمطابقة والترتيب والتنغيم، إلى البنية المكونية.

وقد قدم (ديك) في نمودجه أربع وظائف تداولية (٧٧)، هي :

- المبتدأ (Theme) : وهو عند (ديك) ما يحدد مجال الخطاب.
  - الذيل (Tail): يحمل معلومة توضح معلومة داخل الجملة أو تعدلها.
  - المحور (Topic): وهو المحدث عنه داخل الجملة.
  - البؤرة (Focus): وهي المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو بروزاً في الجملة.
- والمبتدأ والذيل وظيفتان تداوليتان تقعان خارج الحمل، أما المحور والبؤرة فتقعان داخله. وسنوضح هذه الوظائف عند الحديث على نمودج " أحمد المتوكل ".
- وخلاصة القول في النحو الوظيفي أنه النحو الذي يراعي معايير إنجاز الكلام في طبقات مقامية معينة، فالبعد التداولي عماد النظر في وصف اللغة وتفسيرها.

### الوظيفية والتّحاة العرب المحدثون

جاءت البدايات الأولى للاهتمام بالمنحى الوظيفي، في دراسة اللغة عند النحاة العرب المحدثين، في إطار

الدعوة إلى تيسير التّحو؛ فدعا إبراهيم مصطفى وتبعه إبراهيم المخزومي إلى تأكيد

وظيفة الكلمة في الجملة. ونحاً تمام حسان في نمودجه " اللغة العربية معناها ومبناها " منحياً وصفيّاً وظيفيّاً؛ فقد وصف التّحو العربي بعيداً عن التقدير والتأويل، كما جعل همه في هذا النمودج التأكيد على أهمية المعنى، متأثراً بنظرية " سياق الحال " لدى "فيرث"، وقد أطلق عليه ( المقام )، وجعل (المقال) مقابلاً



للسياق اللغوي، لكنّه لم يُقدّم دراسةً تطبيقيةً في نموذج الذي نحاه فيه منحى وصفيًا وظيفيًا كما ذكرنا (٧٨).

ولا نجد لدى النحاة العرب المحدثين نموذجاً في وصف العربية من وجهة تداولية غير نموذج الباحث المغربي أحمد المتوكل؛ فقد انتفع بنموذج "سيمون ديك" في النحو الوظيفي الذي يعده الباحث من أكثر النماذج استجابة لشروط التنظير ومقتضيات النمذجة للظواهر اللغوية.

وقد أقام المتوكل، ضمن الإطار النظري السابق لنموذج (ديك)، دراساته المختلفة حول بنية النحو في العربية فقدم دراسة متكاملة واضحة الأصول، نعرض منها ما يتفق وأهدافنا في هذا البحث.

\* قسم الجملة باعتبار مقولة المحمول التركيبية إلى :

١- جملة ذات محمول فعلي، وتسمى جملة فعلية.

٢- جملة ذات محمول غير فعلي، وهي الجملة التي محمولها مركب وصفي أو مركب ظرفي أو حرفي وتنقسم إلى : جملة تشتمل على رابط (كان وما يشبهها)، وتسمى جملة رابطة، وجملة لا تشتمل على رابط، وتسمى جملة اسمية.

\* أضاف وظيفة (النادى) إلى وظائف (ديك) التداولية الأربع، وجعل (البتدأ) و (الذييل) و (النادى) وظائف خارجية، تقع خارج الجملة؛ وقدم أسباباً للقول بخارجية هذه الوظائف وجعل (المحور) و (البؤرة) ووظائف داخلية، تقع داخل الجملة.

وهذه أمثلة توضح هذه الوظائف كما عرض الباحث :

(١)

- محمدًا كلمتُ لا خالدًا.

- ما كلمتُ إلا عمرًا.

(محمدًا)، (عمرًا) يحملان وظيفة تداولية داخلية، تسمى البؤرة (Focus) تقع داخل الحمل؛ لأنهما المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو بروزاً في الجملة.

(٢)

- زيدًا كلّمته.

- في الصيف الماضي سافرت إلى الخارج.

(زيدًا)، (في الصيف) يحملان وظيفة تداولية داخلية، تسمى المحور (Topic) وتسند للمحدث عنه داخل الجملة.

(٣)

- أيها المسافرون، استعدُّوا.- زيدٌ، لا تنغيب كثيراً.

ما تحته خط وظيفة تداولية تقع خارج الحمل؛ لأنها تسند إلى المكون الدال على المنادى في مقام معين.

(٤)

- ساءني زيدٌ، سلوكة.

- زارني خالدٌ، بل عمرو.

فـ (سلوكة)، و(عمرو) في المثالين يحملان وظيفة تداولية تسمى الذيل (Tail) تقع خارج الحمل؛ لأن الذيل وظيفة تحمل المعلومة التي توضح معلومة داخل الحمل أو تعدلها أو تصححها ويلحظ أن هذه الوظيفة تشابه البديل أو المعطوف في النحو العربي: فـ (سلوكة) بديل اشتمال من (زيد)، و (عمرو) معطوف بـ (بل) التي تفيد أن المتكلم أضرب عن حكم سابق هو: زيارة خالد، وأثبتته لـ (عمرو).

(٥)

- زيدٌ، استفدت من مقالاته.- الطلبةُ، رجعوا إلى المدرسة.

فكل من: (زيد)، و(الطلبة) وظيفة تداولية تقع خارج الحمل، تسمى المبتدأ (Theme)، وهو عند ذلك ما يحدد مجال الخطاب.

عقد المتوكسل مقابلات بين وظيفة (المبتدأ) وكل من: (المحور)، و (الذيل)، و (البؤرة) بحكم ما بينها من تقارب، كما ميز بين وظائف، في نموذج، ووظيفة المبتدأ في النحو العربي في نحو:

- ١- زيدٌ منطلقٌ.
- ٢- عندي كتابٌ.
- ٣- أرجلٌ في الدار؟
- ٤- السَّمْنُ، منوان بدرهم.

فالأسماء: زيد، وكتاب، ورجل، والسمن، تعد مبتدآت عند النحاة العرب، إلا أن المتوكل عند (زيد) في المثال الأول وظيفة تداولية، هي (المحور)، أي أنه محدث عنه داخل الجملة، فهو من مكونات الحمل يأخذ وظيفة تركيبية (فاعل) أو دلالية (منفذ)، وكذا (كتاب) في المثال الثاني. وأما (رجل) في المثال الثالث فمستفهم عنه داخل الجمل تنطبق عليه الشروط التداولية لوظيفة البؤرة، وأما (السمن) في المثال الرابع فهو يحمل وظيفة تداولية خارجية، هي المبتدأ. ومن الموضوعات المهمة التي عالجها الباحث، أيضاً، قواعد إسناد الحالات الإعرابية، على أساس الوظائف الثلاثة: التركيبية والدلالية والتداولية، وبيان ذلك (٧٩):

- إذا كان المكون حاملاً لوظيفة دلالية فقط تُسند إليه الحالة الإعرابية "النصب" أو الحالة الإعرابية "الجر"، إذا كان مسبوقةً بحرف جر؛ نحو (صباحاً) في الجملة: شرب زيد شايًا صباحاً (أو في الصباح).
- إذا كان المكون حاملاً لوظيفة تركيبية زيادة على وظيفته الدلالية تُسند إليه الحالة الإعرابية "الرفع" إذا كان فاعلاً، و "النصب" إذا كان مفعولاً؛ نحو: (زيد) و (شايًا) في المثال السابق.
- إذا كان المكون حاملاً لوظيفة تداولية تُسند إليه الحالة الإعرابية بمقتضى نوع الوظيفة نفسها: فإن كانت وظيفة تداولية داخلية (مثل وظيفتي: البؤرة والمحور) أُسندت إليه الحالة الإعرابية بمقتضى وظيفته الدلالية أو بمقتضى وظيفته التركيبية إذا كانت له وظيفة تركيبية علاوة على وظيفته الدلالية؛ نحو:

١- أغداً ألقاك؟ (غداً) : بؤرة، زمان

٢- ما رأيت البارحة إلا زيداً؟ (زيداً) : بؤرة، مفعول، متقبل.

٣- رجع البارحة زيدٌ (البارحة) : محور، زمان

٤- رجع زيد البارحة (زيد) : محور، فاعل، منفذ

وإن كانت خارجية (مثل وظائف: المبتدأ والمنادى والذيل) فالمبتدأ "الرفع"، والمنادى "النصب" أو ما محله النصب، والذيل وفقاً لمتبوعه، نحو:

- زيدٌ أبوه مريض مبتدأ

- يا سائقاً تمهل منادى

- ساعني زيدٌ سلوكة ذيل

- قابلت زيداً بل خالداً ذيل

كما عالج قضية الرتبة في الجملة الفعلية فدرس الأنماط التي ترد عليها بنية الجملة الفعلية في العربية، وبين خصوصية كل نمط منها تداولياً؛ فالجملتان، مثلاً:

١- جاء عمرو باسمًا.

٢- جاء باسمًا عمرو.

لا تختلفان دلاليًا، إلا أن هناك فرقا تداولياً بينهما؛ فالنحو الوظيفي يميز بين البنية الدلالية والبنية الإخبارية " " Informational Structure" التي عرّفها بأنها " التي تحدد العلاقات القائمة بين مكونات الجملة حسب ( المقام )، كعلاقتي المحور والبؤرة " ( ٨٠ ) وعليه فالجملة :

جاء باسماء عمرو.

فيها ( باسماء ) يحمل وظيفة تداولية، هي وظيفة المحور، تمثل محط اهتمام المتكلم والمخاطب؛ وقد استعان المتوكل، في هذا التحليل، بما طرحه عبد القاهر الجرجاني في " دلائل الإعجاز " ( ٨١ ) عند معالجته الجملة:

قتل الخارجي زيد.

التي توسط فيها المفعول بين الفعل والفاعل بقصد العناية والاهتمام؛ إذ إن الذي يستخدم هذه العبارة يكون همه وقوع القتل بالخارجي.

وتفصيلات الموضوع كثيرة؛ لا يسعنا تناولها، ويحسن أن نسجل، هنا، أن المتوكل وسع في التحليل اللغوي بما أضاف من أبعاد جديدة، وأكد أهمية البعد التداولي في تفسير تراكيب اللغة ووصف نحوها، كما رسخ مفهومات كثيرة في النحو العربي، واتكأ على مقولات التراث اللغوي، نحوه وبلاغته، موضحاً أن هناك نظرية تداولية ثاوية خلف مختلف العلوم اللغوية : النحو، واللغة، والبلاغة، وفقه اللغة.. " وأنها من ثم قابلة للتجاوز، بمعنى القرض والاقتراض، مع النظريات التداولية الحديثة، بما فيها النحو الوظيفي " ( ٨٢ ) .

ومن يدقق النظر في نموذجه يجد مشابه كثيرة بينه وبين النحو العربي : فالوظائف الثلاث، مثلاً: التركيبية والدلالية والتداولية يمكن أن تلاحظ من خلال حدود النحاة للأبواب النحوية المختلفة، كما بيناه، كما أن بعض الوظائف التداولية، كوظيفة الذيل، تشبه وظيفة البدل في بعض أنواعها، والمبتدأ المؤخر في نوع آخر، وتقسيمه الإعراب إلى لازم وغير لازم، أي إلى مبني ومعرب ... وغير ذلك من المشابه ... وعلى الرغم من هذه المشابه يظل الاختلاف بين النموذجين، بسبب الاختلاف في الأصول العامة والمنطلقات المبدئية التي توجه وصف الظاهرة اللغوية وتقعيدها؛ مما يدفعنا إلى القول بأن دراسة النحو العربي بمناهج حديثة ممكنة وأن الإفادة من هذه المناهج مشروعة، على أن تنطلق هذه الدراسة، في رأينا، من خلال المشترك بين الأنظار والاتجاهات في دراسة اللغات المختلفة؛ حتى لا ندخل على النحو العربي ما ليس منه، فلكل نظر أو اتجاه خصائصه ومنطقه، وتبقى اللغة بتجلياتها في الاستعمال موضوعاً مفتوحاً للوصف والتفسير، وتظل أعمال نحائنا القدامى مفتوحة، أيضاً، للنظر والتأصيل.

## خاتمة

وبعد، فقد حاول هذا البحث أن يصف التراكيب النحوية في العربية من الوجهة التداولية، فسانطلق يستكنه أنظار النحاة القدامى في وصف تراكيب العربية، فبين أن منهجهم قام على أفراد باب لكل وظيفة،

درسوا فيه قيودها الصرفية والنحوية والدلالية، وعرض البحث لهذه الوظائف فصنفها؛ وفق أبعادها المعنوية، إلى: **تركيبية ودلالية وتداولية**، ثم بين أنهم افترضوا ( أصلاً ) تقوم عليه بنية الجملة العربية، الاسمية والفعلية، وجعلوه صالحاً لأن ( يُعدّل ) التركيب عنه إلى أنماط فرعية، تتيح للمتكلم خيارات كثيرة.

وفصل البحث في معالجة النحاة والبلاغيين الأنماط السابقة وفق أساليب توافق منطلقات كل فريق؛ فالنحوي يعني أساساً باللغة في الإطار الموصل إلى فهمها وتعلمها وما يجوز وما لا يجوز من التراكيب، أي في إطار المقال وأصوله التركيبية، ثم بين البحث أن عنايتهم بالمقام جاءت بقدر محكوم بهذا الإطار. أما البلاغيون فانطلقوا من النظر إلى التراكيب على أساس " موافقة الكلام لمقتضى الحال "، فدرسوا الأحوال التي تطرأ على البنية الإسنادية من أنماط تركيبية تنشأ بسبب ( العدول عن الأصل ) وما يصاحب هذه الأنماط العدولية من وظائف تداولية، معتدين باستنزام استحضار الأصل واستصحابه ليقاس عليه ضبط درجة العدول كما وكيفاً. ويقف البحث عند أمثلة من التراكيب العدولية ومقاصدها التداولية التي عرض لها البلاغيون، وأمثلة أخرى تقدم صورة مدهشة لتحليلات المفسرين وما كشفوا عنه من ملاسبات وقرائن، داخلية وخارجية، تدل على عبقرية منهجهم في فهم آيات القرآن الكريم.

ثم عرض للدراسات اللسانية الحديثة، من نبوية وتحويلية ووظيفية، فبين أن منطلقاتها ومناهجها اختلفت في وصف التراكيب اللغوية : فالبنويون يعالجونها معالجة صورية صرفة باعتبارها ظواهر تركيبية، والتحويليون باعتبارها ظواهر دلالية، والوظيفيون باعتبارها ظواهر تداولية مرتبطة بالمقام، ثم عرض لأهم تصورات المنحى الوظيفي، فتمودج الباحث المغربي أحمد المتوكل، الذي انتفع بنمودج " سيمون ديك "، في وصف العربية، وتظل المقاربة، في ضوء هذا النموذج، نسبية مفتوحة لإضافات تستفاد من النظر والاستبطان.

ولا يملك المتأمل، بعد ذلك، إلا أن يعتقد أن هناك تراسلاً بين النحاة والبلاغيين والمفسرين؛ فأعمالهم يكمل بعضها بعضاً، وليس أدل على ذلك من أن البلاغيين أخذوا عن النحويين أهم أصل مسن أصول النحو، وهي مقولة ( الأصل ). وقد حرص البحث، على امتداده، إبراز هذه الفكرة والتأكيد على دراسة التراكيب من خلال مقتضيات المقامات المنجزة فيها، وما يصاحب ذلك من وظائف تداولية وغايات دلالية ظهرت واضحة في أعمال المفسرين؛ وهذا يدعو إلى ضرورة التخلص من مبدأ " الاستقلالية " في الدرس اللغوي، والنظر إلى أعمال هؤلاء بهدف استصفاء نظرية لغوية تعنى بالتراكيب والدلالة منظوراً إليها من وجهة تداولية، وهذا ما ألح عليه قديماً عبد القاهر الجرجاني في دلائله وبيناه في هذا البحث؛ فبمباحث النحو يتحقق فهم البنية التركيبية ودلائلها، وبمباحث البلاغة تتحدد أهداف التعبير والتواصل، وبهما معاً يوقف على دلالة التراكيب وأسرارها.

## الهوامش

١- انظر اللسان (دول)

٢- عثمان بن طالب، البراغمية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية، سلسلة اللسانيات، ع(٦)، تونس، الجامعة التونسية، المطبعة العصرية - تونس، ١٩٨٦، ص ١٢٥.

٣- انظر: - عبد الرحمن طه، البحث اللساني والسميائي، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١، ص ٣٠١-٣٠٢

- نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ط(٢)، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، ص ٩٤.

٤- سيبويه، الكتاب: ١٢٦/٢.

٥- السابق نفسه والصفحة نفسها.

٦- ابن السراج (محمد بن سهل) الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط(١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥، ٧٢/١.

٧- الأزهري (خالد بن عبد الله) شرح التصريح على التوضيح، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الببائي الحلبي وشركاه: ٣٩٤/١.

٨- رضي الدين الاسترآبادي، شرح الكافية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥، ٢٧٢/١.

٩- ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، (د.ت): ٤٧/٣.

١٠- ابن الأنباري، أسرار العربية، تحقيق محمد البيطار، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٥٧ م، ص ٦٩.

١١- ابن يعيش، شرح المفصل: ٧٠/٢.

١٢- السابق: ٤٠/٣.

١٣- انظر: تمام حسان، الأصول - دراسة أيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، (د.ط) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢، ص: ١١٤، ١٢٧، ١٣١، ١٣٤، ١٤٠.

١٤- انظر في مظاهر هذا العدول: - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط(٢)، ص ٢٠٧ وما بعدها.

- تمام حسان، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية، ط(١)، عالم الكتب، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م، ص ٣٤٥ وما بعدها.

١٥- انظر في شيء من هذا: عبد الحكيم راضي، نظرية اللغة في النقد العربي، (د.ط) مكتبة

الخارجي، مصر، ١٩٨٠، ص ١٩٤، ٢٠٥.

١٦- الزمخشري، الكشاف: ٦٦٨/٢-٦٦٩.

١٧- ابن هشام الأنصاري، مغنى اللبيب عن كتب الأعراب، حققه وعلق عليه: مازن المبارك ومحمد حمدالله، راجعه سعيد الأفغاني، ط(١)، دار الفكر، ١٩٨٥، ص ٨٥٣.

١٨- كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي - مدخل، (د.ط)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت). ص ٩٧

١٩- نهاد الموسى، نظرية النحو العربي ص ٩٧

٢٠- انظر في مزيد من التفاصيل ما كتبه الأستاذ نهاد الموسى في هذا الشأن :

• الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه، مجلة حضارة الاسلام، دمشق ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ص ٥٩

- الأعراف أو نحو اللسانيات الاجتماعية في العربية، الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، الجامعة التونسية، ع(٦)، ١٩٨٦، ص ١٤٥-١٧٣.

٢١- الكتاب(هارون): ١٤١/١

٢٢- السابق: ٣٤٣/١

٢٣- مغنى اللبيب ص ٧٣٢

٢٤- الكتاب (هارون): ١١٩/١

٢٥- السابق: ١٢٠/١

٢٦- انظر: فاضل السامرائي، معاني النحو، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، (د.ط)، ١٩٨٩، ص ٤٥٢/٢ - ٤٥٣

٢٧- رضي الدين الاستراباذي، الكافية في النحو: ٢٤١/١. وانظر: فاضل السامرائي، معاني النحو ٧٤٦/٢.

٢٨- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، حققه وقدم له محمد رضوان الداية وفايز الداية، ط(٢)، مكتبة سعد الدين، دمشق ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧، ص ١٢١.

٢٩- السابق ص ٩٨.

٣٠- السابق ص ١١٧.

٣١- السابق ص ٩٨.

٣٢- محمد عبد المطلب، البلاغة العربية - قراءة أخرى، ط(١)، مكتبة لبنان - ناشرون، بيروت، ١٩٩٧، ص ٢١٤.

- ٣٣- السكاكي ( أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي )، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٧٠.
- ٣٤- انظر: محمد عبد المطلب، البلاغة العربية، ص ٧٠، ٢٣٧.
- ٣٥- انظر: - عبد الحكيم راضي، نظرية اللغة في النقد العربي ص ٢٠٨
- ٣٦- انظر: الكتاب: ٣٣/١
- ٣٧- انظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ١٣٦-١٣٧.
- ٣٨- المحتسب: ٦٤/١-٦٥.
- ٣٩- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ١٣٦.
- ٤٠- الكشاف: ٤٦/٤.
- ٤١- انظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ط(١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٠٤.
- ٤٢- انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز ص ١٥١، والقزويني، الإيضاح، ص ٦٠.
- ٤٣- انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز ص ١٤٧-١٤٩، والقزويني، الإيضاح ص ٥٩.
- ٤٤- انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز ص ١٤٠ - ١٤١، والزمخشري، الكشاف: ٢٦١/٣.
- ٤٥- انظر: القزويني، الإيضاح ص ١١٥. الزمخشري، الكشاف: ٢٣/١.
- ٤٦- الإتيقان ٢ في علوم القرآن، ط(٣)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م، ٥٧/٢.
- ٤٧- انظر: القزويني، الإيضاح ص ١١٤
- ٤٨- انظر: السابق ص ١٨٨، الكتاب: ٤٥٣/١.
- ٤٩- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (د.ط.)، مطبعة المقتطف، مصر، ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م، ١٧١/٢.
- ٥٠- انظر: الطراز: ١٦٧/٢-١٧٥، معنى اللبيب ص ٥٠٦ - ٥٢١، والبيان في روائع القرآن ١٨٣.
- ٥١- الجرجاني، دلائل الإعجاز ص ٢٧٧
- ٥٢- انظر السابق ١٨٥ - ١٨٧.
- ٥٣- الإيضاح ٤٥.
- ٥٤- الرضي الاسترآبادي، شرح الكافية: ٢٧/٢.
- ٥٥- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ٣٣٧
- ٥٦- انظر: محمد عبد المطلب، البلاغة العربية: ١٩، ٢٦، ٢٨.



٥٧- استعمل الزمخشري في كشافه صيغة استفهامية قائمة على افتراضه سؤالاً يبدؤه بقوله : فإن قلت : ... ثم يجيب عليه بقوله : قلت : ... وقد نحتنا من ذلك مصطلح " الفنقلة " .

٥٨- الزمخشري، الكشاف : ٤/٢٢٥-٢٢٦.

٥٩- ص ٨١١.

٦٠- البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط(١)، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م؛ ٢/٤١٤.

٦١- انظر: عثمان بن طالب، البراغمية وعلم التراكيب، ص ١٢٥.

٦٢- يحيى أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، مج(٢٠)، ع(٣)، الكويت، ١٩٨٩، ص ٧٠.

٦٣- انظر:

Hartman and F.C. Stork, 1972 , P.91 A Dictionary of Language and linguistics , R.R.K.

٦٤- يحيى أحمد، الاتجاه الوظيفي، ص ٧٢

٦٥- انظر : محمد صلاح الدين الشريف، تقدم عام للاتجاه البرغماتي، ضمن أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي للعلوم التربوية، تونس، مارس ١٩٨٦، ص ٩٥.

٦٦- يحيى أحمد، الاتجاه الوظيفي، ص ٧٢

٦٧- انظر : أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٥م، ص ٤٩

٦٨- انظر في تحليل هذه التراكيب : عبد القادر الفاسي الفهري اللسانيات واللغة العربية، ط(٢) منشورات عويدات، بيروت ١٩٨٦، ص ١٢٤، ١١٤، ١٢٨-١٢٩، على التوالي.

٦٩- انظر : عثمان بن طالب، البراغمية وعلم التراكيب، ص ١٣٠.

٧٠- انظر: نهاد الموسى، نظرية النحو العربي، ص ٩٢.

٧١- يحيى أحمد، الاتجاه الوظيفي، ص ٧٧.

٧٢- عرض للفكرة مع مقارنتها بنظرة البلاغيين تمام حسان في " اللغة العربية معناها ومبناها "، ص ٣٣٧

- ٣٧٢

- وانظر: نهاد الموسى، نظرية النحو العربي، ص ٩٤.

Firth , J.R. , Personality and Language In Society , Reprinted in firth , 1957,p.182

٧٣- انظر:

Halliday , M.A.K. , Language as Social Semiotic , Edward Arnold , London , 1978,P.33

٧٤- انظر : يحيى أحمد، الاتجاه الوظيفي ص ٨٩، ٩٠.

٧٥- انظر : أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ط(١)، دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م، ص ١١.

٧٦- السابق ص ١١٦

٧٧- انظر :

-Dik. S , Functional Grammar , Amsterdam , Holland , 1978 , P.13

-السابق : ١١٥ ، ١٤٤ ، ٦٩ ، ٢٨ على التوالي.

٧٨- انظر : إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٥٣.

-مهدي المخزومي، في النحو العربي - نقد وتوجيه ط(٢)، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ -

١٩٨٦، ص ٣١٥. -تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٣٧٢

٧٩- انظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص ١٩ وما بعدها.

٨٠- انظر : أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص ٧١.

٨١- انظر : عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ١٣٦-١٣٧.

٨٢- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية، ص ١٠.